في سورية ما بعد الأسد
شهادات ميدانية

Dans la Syrie post-Assad
Carnets de bord

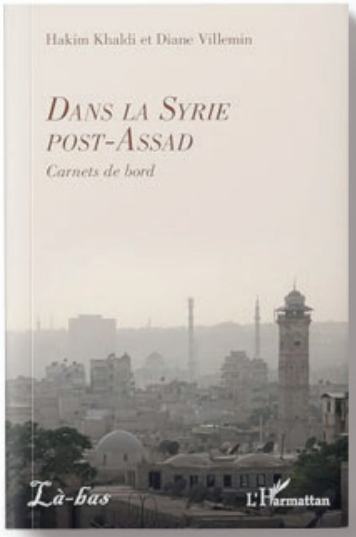

العنوان:

في سورية ما بعد الأسد: شهادات ميدانية

Dans la Syrie post-Assad: Carnets de bord

المؤلف: حكيم خالدي (Hakim Khaldi) وديان فيلمان (Diane Villemin)

لغة الكتاب: الفرنسية

الناشر: Paris: L'Harmattan (2025)

عدد الصفحات: 132

في الكتاب سرد لتجربة العودة إلى سورية، بعد سقوط نظام الأسد، بصفة عامل إغاثة إنسانية مع منظمة طبية غير حكومية فرنسية، لتقييم الاحتياجات الطبية. يصف الكتاب بلدًا مدمرًا ومبتهجًا في الوقت نفسه، فأينما حلّ المرء، في معظم المناطق السورية تقريبًا، بعد السقوط مباشرة، يُلاحظ إجماعًا على أن البلاد لم تكن في حالة "حرب أهلية"، بل "حربًا تشنها عائلة الأسد ضد شعبها". منذ سقوط النظام في الثامن من كانون الثاني/ ديسمبر 2024، بُعث الأمل من جديد، فـ"هذه الأرض ملك للشعب السوري، ولن تسلبها منه أي دكتاتورية مرة أخرى". يقدّم الكتاب، في هذا السياق، شهادة ميدانية عن سورية في المرحلة التي أعقبت سقوط نظام بشار، مستندًا إلى مشاهدات مباشرة ورحلات ميدانية ومقابلات مع سوريين، من خلفيات اجتماعية ومهنية متنوعة. وينتمي الكتاب إلى أدب الشهادات والتوثيق المعاصر، فهو يسعى لفهم التحولات التي يعيشها المجتمع السوري، من خلال أصوات الأفراد وتصوراتهم للمرحلة الجديدة، أكثر من سعيه لبناء نموذج نظري شامل. يؤكد الكتاب أن سقوط النظام لا يمثل النهاية، بقدر ما يمثل بداية مرحلة انتقالية معقدة تتداخل فيها رهانات إعادة بناء الدولة، واستعادة الثقة الاجتماعية، وترميم ما خلّفته سنوات الحرب من انقسامات وتصدعات عميقة. من هذا المنظور، يركّز الكتاب على الكيفية التي ينظر بها السوريون إلى المستقبل، والتحديات التي تواجههم، في سياق الانتقال من مرحلة الاستبداد والصراع إلى مرحلة البحث عن الاستقرار وإعادة البناء.

يبرز الكتاب، بصورة خاصة، التجربة الإنسانية للسوريين خلال سنوات الحرب، وما بعدها. فمن خلال الشهادات التي جمعها، يعرض آثار القمع السياسي والاعتقال والنزوح والتهجير في الأفراد والعائلات، ويبيّن كيفية تشكيل الوعي والذاكرة الجمعيين. ويكشف عن حضور قوي لمفاهيم الحرية والكرامة والعدالة في روايات السوريين عن الماضي وتصوراتهم للمستقبل، بما يعكس استمرار الثبات على المطالب التي خرجت من أجلها المظاهرات منذ آذار/ مارس 2011. يتناول الكتاب التحديات المادية والمؤسسية التي تواجه البلاد بعد الحرب، مشيرًا إلى حجم الأضرار التي لحقت بالبنية التحتية والقطاع الصحي والخدمات الأساسية. ويظهر من خلال المعطيات الميدانية أن إعادة الإعمار لا تُفهم بوصفها عملية هندسية أو اقتصادية فحسب، بل مسارًا اجتماعيًا وسياسيًا يتطلب إعادة بناء العلاقات بين الدولة والمجتمع، وإيجاد مؤسسات قادرة على الاستجابة لحاجات المواطنين وتعزيز الشعور بالمواطنة والانتماء.

يناقش قضايا العدالة الانتقالية، بوصفها أحد الموضوعات الحاضرة بقوة في وعي السوريين. فالمطالب المرتبطة بالمحاسبة وكشف الانتهاكات والاعتراف بمعاناة الضحايا تشكل، بحسب الشهادات التي يوثقها الكتاب، جزءًا أساسيًا من المناقشات حول مستقبل سورية. في الوقت نفسه، يبرز إدراك واسع لأهمية المحافظة على السلم الأهلي وتجنب إعادة إنتاج دوائر العنف والانقسام، ما يجعل مسألة التوازن بين العدالة والمصالحة إحدى القضايا المحورية في المرحلة الجديدة. منهجيًا، يعتمد الكتاب مقاربة وصفية تستند إلى المشاهدة المباشرة والمقابلات الميدانية، ما يمنحه قيمة توثيقية مهمة بوصفه سجلًا مبكرًا لمرحلة ما بعد النظام البائد. وتكمن أهميته في أنه يقدّم صورة عن إدراك السوريين للتحول السياسي من الداخل، ويتيح للمهتمين فهم طبيعة التوقعات الاجتماعية، والآمال والمخاوف التي صاحبت اللحظة التاريخية التي مثّلها السقوط. من ثمّ، فإن الكتاب وثيقة ميدانية، باللغة الفرنسية، من شأنها أن تساعد في فهم التحولات الاجتماعية والسياسية في سورية المعاصرة، وفهم ديناميات الانتقال وإعادة بناء الدولة والمجتمع، بعد عقود من الاستبداد، ثم الثورة عليه، فالحرب وما رافقها من مآسي، وتهجير وتغييب قسريين، واعتقالات وتقتيل وانتهاكات.